لا يُشْبهون كلامَهم

. عـمـــرو كـيـــلاني ❖ .

لا يُشْبهون كلامَهم.
هم غيرُهم في الأغنياتِ. وعندهمْ
زمنان، لا زمنٌ وحيدٌ يَفرض المعنى،
ويُجبرهم على مدح الجراحْ.
يتهرّبون من اشتغالِ الآن فيهم، كي يكونوا
صورةَ الآتي، وصوتَ الأنبياءِ العالقينَ
وراء أبواب الصباحْ.
لا يؤْمنون بما ينزّ القلبُ من وجعٍ، ولا
بدمٍ تسيّلهُ أغاني أهلِهم
إنْ أغمدتْها الآهُ في رئة الرياحْ.
ورِثوا الحنينَ إلى وجوهٍ لم يروْا أبعادَها،
وإلى إلهٍ لم يقل يومًا لهم: «ما حالُكم؟»
و إلى بلادٍ في الخرائط لا تُشَمُّ ولا تُذاق.
لا شيء يغريهم لكي يتقمّصوهُ!
بلادُهم صارت منافي. أهلُهم
صمتٌ يسير على الطريق. نساؤهم
يلبسنَ منذ الموتِ وجهَ الذكرياتِ. ولا نوافذ،
لا نوافذ في السماءْ.
يتملّصون من الحقيقة ـ والحقيقةُ سجنُ صاحبها ـ
ليبتعدوا
عن التاريخِ حين يفوحُ ممّا حولهم؛
وعن اقتتال الأبجديّات الطويلِ على مساحات الهباءْ.
هم، مثلنا، أبناءُ حزنٍ واحدٍ. لكنهم
مَلّوا من التجوالِ في أسمائهم،
فتطهّروا منها، وساروا في الطريقِ إلى ملامحهم
عراةً، يلبسون الموجَ، علّ الموجَ يجعلهم وصولا.
يتعثّرون بدمعةٍ، بأبٍ يفتّش في ضروعِ الحاوياتِ عن
الحليبِ،
بأمّةٍ تستورد الشهداءَ والأمراءَ والكبريت،
بالذهب الذي ينمو ويُزْهر قبل موعده،
بشمسٍ في زنازين الإلهِ،
بطفلةٍ ربطوا السلاسلَ حول فخذيها،
برائحةِ البخورِ على قبورِ الأولياءِ،
بما تقرّره السماءُ من الحروبِ أو الدروبِ،
بكلّ أقنعةِ الهزيمةِ، وانتصارِ
الخوفِ في اللغة التي كانت خيولا.
يتوقّفون، ويَنْظرون، ويُكْملون طريقَهم.
عميان، يَحْملهم إلى أحلامهم حلمٌ يراودهم طويلا.
لا يكذبونْ.

❖ ـ شاعر من مدينة الرقّة، مقيم في دمشق. يتخرّج هذا العامَ من كليّة طبّ الأسنان في الجامعة السوريّة الدوليّة للعلوم والتكنولوجيا.

لكنهم يتخيّلونْ.

ويصدّقون خيالَهم، حتى إذا أوحى بما لايفهمونْ.

أحلامُهم ليست عطايا الغيب واللاوعي، بلْ

وعيٌ إلى ما يَنْقص الوقتَ المشوّهَ من جمالْ.

وكلامُهم ليس انتماءً، إنما

طيراً صغيراً في مهبّ الاحتمالْ.

في برزخٍ بين انعتاق الروح والأبد المسيَّجِ بالصنوبر، يسكنونْ.

يتوالدون من اشتهاءِ الذات في المرآة يومًا أن تكونْ.

ويحلّقون، يسافرون، يُعمّرون، ويَكتبون، ويَكْبرون هناك في اللاوقت مثلَ الزيزفونْ.

حتّى إذا جاء الردَّى قالوا له: «كم مرةً سنموتُ يا مجنون!»

دمشق

بطلة هذه الرواية «صديقة» الجميلة، زوجة المناضل أحمد. يُستشهد أحمد. وتعيش هي بعده في المخيّم، تسترجع علاقتها معه: بدأتْ عشقًا وانتهت حرمانًا يتمثّل في انفصال روحها عن جسدها، وفي تحوّل علاقةِ الحبّ إلى إفراغ غريزي.

تترك «صديقة» المخيّم، تهرب، تسافر، تقع في شرك...

رواية تربط بين الجسد والحبّ وحضور الذات في الحياة الواقعيّة، حياة الشتات وفقدانِ للبلد، للولد، للزوج، للذات...

سامية عيسى كاتبة وإعلاميّة فلسطينيّة، عملتْ في جريدتي «السفير» و«النهار»، وناشطة في مجال حقوق المرأة. تعمل حالياً منتجة برامج في تلفزيون دبي.